جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مقياس: مناهج البحث اللغوي (السنة الأولى ماستر لسانيات) الأستاذ: روبحي

الأهداف العامة للمقياس:

للمنهجيّة العلميّة أهميّة خاصة في البحث والتّكوين الجامعيّ، إذ تعدّ وسيلة من وسائل التعليم الذاتي، يتعرّف من خلالها الطالب على أسلوب البحث وطريقته، ويتعلّم كيف يصل بنفسه إلى المعلومات و النتائج المرجوة، و تغرس في نفسه الرغبة في التميّز والتجديد.

وتأتي مناهج البحث اللغوي العربي لتحقيق جملة من الأهداف، نذكر منها:

- اكتساب المفاهيم الأساسية التي تمكّن الباحث من منهجية البحث اللغوي.

- الكشف عن الأسس والأفكار لهذه المناهج في تاريخ العربية ودراساتها القديمة.

- التعريف بالحقائق العلمية المرتبطة باللغات عموما واللغة العربية خاصة، إذ هي في جوهرها تقييد للباحث، وإلزام له بنظام معيّن يسير عليه، ليحسن بناء وتنظيم وتنسيق المعارف التي تندرج ضمن قالب البحوث الأكاديمية.

المحاضرة الأولى: ضبط المصطلحات والمفاهيم (المنهج، المنهاج، المنهجية، المقاربة...)

الكفاءات المستهدفة

- أن يتعرّف الطالب على كل من المنهج، المنهاج، المنهجية..
- أن يحدد الطالب أهم الاختلافات والفروق بين هذه المصطلحات.
- أن يتمكّن الطالب من توظيف المكتسب في بحوثه العلمية واللغوية.

تمهيد:

أدق ما في التعامل اللغوي ضمن البحث العلمي هو المصطلح وحدوده وماهيته، لأنّه أهم المنطلقات الأساسية التي تعزّز البحث وتدعّمه. و ضمن مقياس (مناهج البحث اللغوي) نأتي إلى تحديد المصطلحات التالية: المنهج، المنهاج، المنهجية، المقاربة... فعلى الرغم من التقارب اللغوي الذي يجمع بينها إلّا أنّ لكلّ مصطلح مجال استخدام خاص به، لذلك كان لزاما على الباحث أن يدرك بدقة المعاني التي تناسب كلّ مصطلح على حدة، حتى يتمكّن من رسم الخطوط العريضة لبحثه.

المنهج لغة :

المنهج في اللغة الطريق الواضح، قال الخليل (ت175ه): " طريق نهج: واسع واضح، وطرق نهجة، ونهج الأمر و أنهج لغتان، أي: وضح، والمنهاج: الطريق الواضح "(1).

وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت539ه) ذكر: " (ن ه ج) أخذ النهج، والمنهج والمنهاج وطريق نهج، وطرق نهجة، ونهجت الطريق، بينته، وانتهجته، واستبنته، ونهج الطريق وأنهج: وضح "(2).
وجاء في المعجم الوسيط بأنّه:" الخطة المرسومة، واللفظة دلالتها محدثة، ومنه مناهج الدراسة ومناهج التعليم ونحوهما (3)".

وفي هذا إشارة واضحة على أنّ المنهج هو الطريقة أو الأسلوب.

أمّا المعاجم الأجنبية فتحديد هذا المصطلح متقارب، ويقصد به بشكل عام الطريق أو السبيل ، ففي اللغة اليونانية (methedos)، وفي اللغة اللاتينية (Methodud)، وفي اللغة الإنجليزية (Meythod)، وفي اللغة الفرنسية (Methode).

المنهج اصطلاحا:

يرى علي جواد الطاهر " أنّ المنهج في أبسط تعريفاته وأشملها، طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة ". (4)
فهو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

وعرّف المنهج كذلك بأنّه " مجموعة من العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها علم من العلوم بلوغ الحقائق المتوخّاة مع إمكانية تبيانها والتّأكّد من صحّتها "(5)
هذا "وقد وظّف المنهج على أنّه التيار أو المذهب أو المدرسة، ولا ضرر في ذلك مادام الهدف من ذلك كلّه هو الكشف عن الطريقة أو الأسلوب لتيار معين أو مذهب معين أو مدرسة معينة "(6)

تقويم تحصيلي:

تلاحظ أنّ مصطلحي المنهج والمنهجية كثيرا ما يتداخلان مع بعضهما، فيستعمل الأول عوض الثاني أو العكس. حاول أن تستنتج أهم الفروق بينهما.

الهوامش

1-الخليل بن أحمد،العين، تح:مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق، 1975،مادة(ن،ه،ج)

2- ينظر:الزمخشري، أساس البلاغة، تح: أحمد عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ص474.

3- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار المعارف، مصر،ط2،1973،مادة (ن،ه،ج).

4- علي جواد طاهر، منهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،1979،دط،ص17.

5- Les methodes des sciences socrales grawitz madleine ed dall ez paris 1976 p332.

6- نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزيطة- الاسكندرية،2000،ص285.

المحاضرة الثانية البحث اللغوي: أهميته، أهدافه.

تعريف البحث:

البحث: مصدر الفعل الماضي (بحث)، ومعناه: طلب، وفتش، وتقصى، وتتبع، وتحرّى، وسأل، وحاول، واكتشف.
أي أنّ البحث هو الطلب والتفتيش والتقصي لحقيقة من الحقائق.

تعريف البحث اللغوي:

البحث اللغوي هو دراسة النصوص والظواهر اللغوية بجمعها واستقصائها وتحليلها.فهو عملية تنقيب عن اللغة، بتقص دقيق، ونقد عميق لإحدى أو بعض ظواهرها، وفق المنهج العلمي الدقيق لتحقيق هدف معين.

والموضوعات التي يمكن أن تكون محلّ بحث في البحث اللغوي، هي: الأصوات، والصرف، والتركيب، والدلالات، وفي وظائف اللغة، والقوانين التي تحكم ظواهرها، وكلّ ما يأتي بجديد في هذا المجال.

البحث اللغوي في التراث:

يدور المعنى اللغوي للتراث حول الإرث، والتاء في (تراث) بدل من حرف الواو، لأنّها من الورث. والإرث والورث يعني ما تركه الأسلاف للخلق جيلا بعد جيل.

وصار مصطلح (التراث العربي) يدلّ على ما وصل إلينا من فكر العرب قبل الإسلام وبعده على مختلف العصور. ولا يختلف كثيرا عن البحث العلمي إلّا من حيث أنّ الثاني عام يصلح لكلّ العلوم والميادين، بينما البحث اللغوي خاص بميدان اللغة، وجعلها مادة له ولا يتجاوزها إلى شيء آخر، وهذا بطلب الحقيقة اللغوية من مصادرها، وتبيين ما اشتملت عليه من عناصر.

وقد وقع اهتمام علماء اللغة القدامى بالبحث اللغوي، من خلال اهتمامهم بالنص القرآني، بالوقوف على قراءته والإحاطة بدقائقه وفهم معانيه، لاسيّما بعد دخول الأعاجم في الإسلام. ومن دواعي الاهتمام بالعربية أيضا حرص بعض أبنائها المتحمّسين لها والمغرمين بها على إظهار جمالها ودقّتها وفصاحتها في معالجة وكشف أسرارها. فعكفوا بذلك على اللغة العربية بجمع مادتها ودرس أصواتها ومفرداتها ووصف تراكيبها.

وقد انتهج علماء العربية للقيام بذلك منهجا متميّزا في البحث اللغوي معتمدين على ذوقهم وإعمال العقل ودقّة الملاحظة.

هذا وقد انشغل عدد كبير من الباحثين بالتراث اللغوي العربي، فمنهم من اهتمّ بتحقيقه فجمع المخطوطات وقارن بينها وأثبت التصحيح، وشرح المادة وعلّق عليها. ومنهم من عني ببحث النصوص ودراستها وتحليلها، محاولا الكشف عن الجوانب المشرقة فيها.

-أهمية البحث اللغوي:

تعتبر اللغة من أعرق مظاهر الحضارات في العالم، وهي صانعة الرقي والتقدم بحكم أنّها أداة تواصل بين الأفراد.

ولا تقل أهمية البحث اللغوي عن أهمية البحث العلمي، فهو من جهة جزء من البحث العلمي، ومن جهة أخرى يكتسب أهميته من أهمية مادته وهي اللغة. ونظرا لأهميتها فقد سخّر لها علماء اللغة مجموعة من المناهج،إذ المنهج من أهم سمات الدراسة اللغوية، فبعضها يكشف عن أسرار النظام اللغوي للغة موضوع الدرس، وبعضها يرصد حركة التغيير اللغوي عبر الزمن، والبعض الأخر ينهض بهدف التأصيل اللغوي وتصنيف اللغات إلى أسرات لغوية. ويمكن إجمال هذه الأهمية فيما يأتي:

أهميته بالنسبة للغة:

- بيان أهمية اللغة ومكانتها التي تليق بها.
- الفهم الدقيق للمنتوج اللغوي وتسهيل التواصل به.
- إبراز الحقائق التي تتعلّق باللغة، وبيان قواعدها الأساسية.
- تيسير اللغة ومرونة التواصل بها.
- يعين على فهمها وحسن توظيفها في مختلف المواقف التواصلية.
- إثراء معجمها والبحث في قواعدها وتنظيمها وتبسيطها.
- اختزال مناهج تحليل اللغة، باقتراح نظريات علمية تساهم في فهم تراكيبها وتحليل نصوصها.

أهميته بالنسبة للباحث:

- يتيح البحث اللغوي والعلمي عموما للباحث الاعتماد على نفسه في اكتساب المعلومة.
- يجعل الباحث متميّزا في تفكيره، ويعوّده التّأمّل والملاحظة القويّة والدقيقة.
- يتيح له فرصة الاطلاع على مختلف المناهج والقدرة على اختيار الأفضل والأنسب.
- يكسبه الأسلوب العلمي والقدرة على اختيار الأفضل من مصادر المعلومات بما يتناسب مع طبيعة بحثه.
- هذا ويجمع أغلب الباحثين والدّارسين على أنّ القيام بأيّ عمل لا يكون ناجحا ما لم يستند إلى منهج يتخذه الباحث ويلتزم به.

أهميته بالنسبة للمجتمع:

- يسهم في النضج الفكري لدى المجتمع.
- يسهّل التواصل الجيّد، ويرفع بقضاياه المصيرية لاسيّما التعليمي والثقافي.
- خدمة المجتمع والنهوض بأفكاره وتطويرها.

3-أسس البحث اللغوي العربي:

1 - عمل الرواة، نذكر منهم:

- الأصمعي عبد الملك بن قريب (ت123ه)
- الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175)
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت209ه)
- أبو زيد الأنصاري (ت214ه)

2- جمع وتدوين وتقعيد اللغة: اعتمد الرّواة في ذلك على السماع والسؤال المباشر وغير المباشر.

3- السماع: ويقصد بذلك أنّ الراوي هو الذي يسمع بنفسه ما يرويه. ويعتبر سماع الأعراب في البادية أهم مصدر لجمع اللغة لدى الرّواة من خلال ملازمة الأعراب ومخالطتهم.

أهداف البحث اللغوي:

إنّ الهدف الأساسي من البحث العلمي هو الوصول إلى نتائج علمية، أو إلى عرض مفصل لدراسة معمقة تمثل كشفا لحقيقة جديدة. والموضوعات التي يمكن أن تكون محلّ بحث في البحث اللغوي هي من صميم البحث العلمي، لأنّها تحلّ إشكالا عالقا أو تنبه على أمر قديم متروك... في مستوى من مستويات اللغة (الأصوات، الصرف، التركيب والدلالة). كما يمكن أن يبحث البحث اللغوي في وظائف اللغة، وموت وحياة اللغة، والقوانين التي تحكم اللغة وظواهرها ووضع تفسيرات وتحليلات لشرح ظاهرة أو مشكلة معيّنة.

المحاضرة الثالثة البحث اللغوي: خصائصه، خطواته.

خصائص البحث اللغوي:

عرفنا سابقا أنّ البحث اللغوي هو بحث علمي، لأنّه يتّبع أساليب وقواعد علمية منظمة، ومناهج علمية، للوصول إلى حقيقة ما، إلّا أنّه يختلف عن البحث العلمي في أنّ مادته هي اللغة، وبالتالي فخصائص البحث اللغوي هي كذلك خصائص البحث العلمي. والمقصود بخصائص البحث اللغوي هي الميزات التي يتميّز بها، وهي مجموعة من الخصائص الأساسية التي لابدّ من توافرها لتحقيق أهداف البحث وتؤدي إلى توسيع آفاق معرفته ومفهومه، ويمكن تحديد جملة من هذه الخصائص في العناصر التالية:

- **التراكمية:** فالبحث اللغوي بحث حركي تجددي، قائم على الإضافات المعرفية، حيث تعود جذوره إلى بداية الحضارات الإنسانية. فمن المؤكّد أنّ هذا التراث اللغوي الذي تزخر به مكتبات العالم من آثار ومخطوطات ومؤلّفات، يعود إلى مئات السنين.
- **التنظيم:** فهو نشاط علمي منظّم ودقيق ومخطط، يتحكّم العقل في التخطيط له، ويخضع لضوابط وأسس منهجية، لأنّه ينفّذ تبعا لمناهج محدّدة، ونتائج مدروسة لم تكن وليدة الصدفة.
- **الموضوعية:** أي البعد عن الذاتية والتدخل في النتائج، لأنّ الباحث ينبغي أن يكون حياديا في بحثه، يتجرّد من ذاتيته وميوله، وينقل الحقائق والمعطيات كما هي في الواقع.
- **الحركية والتجديد:** البحث اللغوي بحث ينطوي دائما على تجديد وإضافات في المعرفة.
- **الدّقة:** يخضع لمفاهيم متعارف عليها من ذوي الاختصاصات تتضمن مصطلحات ومفاهيم دقيقة.
- **التفسير:** فهو يستخدم المعرفة العلمية لتفسير الظواهر.
- **التعميم:** أي أنّه بحث عام وفي متناول أي شخص.

خطوات البحث اللغوي:

تعدّ خطوات البحث في الدراسات اللغوية العربية متشابهة مع مثيلاتها من التخصصات في العلوم الإنسانية عامة،

1- **اختيار موضوع البحث وتحديده:**

ويكون اختيار موضوع البحث حسب ما هو منصوص عليه في البحوث الجامعية بطريقتين:

إمّا أن يختار الباحث موضوع بحثه عن قناعة مراعاة لميوله ورغبته، وإمّا أن يساعده في ذلك المشرف أو الإدارة القائمة على الأقسام، وذلك بتقديم مقترحات لموضوع يتناسب مع الطالب، " وتبقى الأفضلية أن يعتمد الطالب في هذه المرحلة على نفسه في اختيار البحث، فلربّما كان ذلك باعثا له على الإجادة والتحدّي وإثبات التميّز، دون التخلي عن ضرورة الاستشارة لمن هم أكثر خبرة منه " (1)

- ونلمس في البحوث المنجزة حديثا مراعاة زمن الإنجاز فيها، فهي مقيّدة بفترة تحدّدها الجامعة.
- ثمّ إنّ ما تشترطه البحوث المعاصرة من وجوب توفّر المصادر والمراجع لتأسيس انطلاقة سويّة توحي ببعد نظر الباحث من خلال اطّلاعه على مفاتيح ومداخل بحثه.
- وجوب استعداد الباحث لبحثه، لأنّ الاستعداد النفسي يلعب دورا في إنجاز الرسائل والمذكرات في وقتها المحدد.

وفي **صياغة العنوان**شروط، نذكر منها(2):

- أن يكون دقيقا في الدلالة على الموضوع.
- أن يكون واضحا غير غامض ولا مبهم.
- أن يكون قويا ذا تأثير على القارئ.
- أن يكون موجزا قدر الإمكان.
- ألا يكون متكلفا في عباراته من حيث اللفظ، فلا يكون مسجوعا ولا حاويا لألفاظ غريبة.

أن يكون شاملا للمادة العلمية التي سيتناولها.

2-خطة البحث وتبويبها:

تعدّ خطة البحث مرتكزا أساسيا لا غنى عنه في البحوث الأكاديمية، فهي بمثابة فن التنظيم لمداخل وفصول ومباحث الموضوع المتناول للدراسة، وغالبا ما ترد خطة البحث مجملة أثناء كتابة مقدمة الموضوع، ومفصلة باعتبارها فهرسا لأهم النقاط التي تطرّق إليها الباحث. أمّا عناصرها فهي كالآتي:

مقدمة: وهي آخر شيء يكتب في البحث، بل إنّها نافذته التي يطل من خلالها القارئ على الموضوع وفهم أجزاءه، ولذلك يجب على الباحث أن يصوغها صياغة جيدة وأن تكون من زبدة أفكاره. متطرقا فيها إلى:

- الموضوع الذي اختاره وشغل فكره.
- أهمية البحث من خلال التطرق لأهم النقاط التي نريد إزالة اللبس عنها وتناولها في البحث بالدراسة والتحليل والعرض والنقد.
- ذكر الأهداف التي يسعى الباحث لتحقيقها في هذا الموضوع.
- ذكر الأسباب الذاتية والموضوعية التي دفعت الباحث لاختيار موضوعه.
- طرح الإشكالية بشكل واضح وصياغتها في سؤال عام شامل لمحتوى العنوان، قد تتبع بأسئلة جزئية تعكس فصول ومباحث الموضوع.
- ذكر المنهج المتبع في معالجة البحث.

- توضيح خطوات تقسيم البحث، على حسب ما قدّمه الباحث (أبواب، فصول، مباحث، مطالب)
- التنويه بالدراسات السابقة ذات علاقة مباشرة بالبحث.
- إشارة إلى الصعوبات التي عانى منها الباحث في إنجاز بحثه أو حالت دون تقديمه في الوقت المطلوب.
- كلمة شكر وتقدير للمشرف ولجنة المناقشة ومركز البحث أو الجامعة وكلّ من كان له فضل في مساعدة الباحث.

الهوامش:

1-محمد السيد الديب، مناهج البحث في الأدب واللغة والتربية، (1420هـ-2000م)، القاهرة، د.ط، ص42.
2-ينظر: محمد علي عبد الكريم الرديني، شلتاغ عبود، منهج البحث الأدبي واللغوي (2010م)، دار الهدى عين مليلة، د.ط، ص221.

المحاضرة الرابعة: الاستقراء والاستنباط

أولا: الاستقراءInduction

الاستقراء لغة:

الاستقراء كلمة مشتقة من الفعل " قرأ "، وهو بمعنى: تتبع، وجمع، وضمّ، وتفحّص...قال ابن فارس: " القاف والراء والحرف المعتلّ أصل صحيح يدلّ على جمع واجتماع، من ذلك القرية، سمّيت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة: جمعته ".(1)

اصطلاحا:

الاستقراء يعني طريقة تفكير يمرّ من خلالها العقل من الخاص إلى العام. والطريقة الاستقرائيّة "هي طريق للوصول إلى الأحكام العامة بواسطة الملاحظة والمشاهدة وبه نصل إلى القضايا الكلية التي تسمى في العلوم باسم القوانين العلمية أو القوانين الطبيعية" (2).

وحقيقة الاستقراء هو الاستدلال بالخاص على العام. ومثاله: أن نتتبّع استعمال (الفاعل) في اللغة العربية لنعرف حكمه الإعرابي، فنجد أنّ الكلمة التي تقع فاعلا في مختلف الجمل التي استقرأناها تكون مرفوعة، فنصل إلى النتيجة، والتي تمثّل حكما كليا وقاعدة في النحو، وهي: كلّ فاعل مرفوع.

الاستقراء قسمان: تام وناقص:

- **الاستقراء التام:** هو ما يقوم على حصر الجزئيات للظاهرة المدروسة، وكمثال على ذلك علماء العربية القدامى استقرأوا الكلام فوجدوه لا يخرج عن: اسم، وفعل، وحرف.ومن خلال هذا الاستقراء أيضا تتبّع علماء اللغة القدامى ما فعله " أبو الأسود الدؤلي " (ت 69هـ) في نقط المصحف واستنتجوا ما يدلّ على الفتحة للمفعول، والضمة للفاعل، والكسرة علامة للمضاف، وهكذا كان النقط الدال على الحركات سببا مباشرا لتأسيس النحو.

- **الاستقراء الناقص:**وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات الظاهرة.

ثانيا: الاستنباط Déduction

الاستنباط لغة:

أصل الاستنباط من الفعل " نبط " بمعنى استخرج واستظهر، فالاستنباط: الاستخراج. جاء في لسان العرب: نبط الماء ينبط وينبِط نبوطا: نبع، وكل ما أظهر، فقد أنبط. واستبط منه علما وخبرا ومالا: استخرجه. والاستنباط الاستخراج. واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه (3).

الاستنباط اصطلاحا:

هو طريق لتفسير القواعد العامة والكلية التي ينتهي منها إلى استخلاص النتائج التي يمكن تطبيقها على الحالات النظيرة، كما يحتاج المنهج الاستنباطي إلى عنصرين وهما: الحقيقة الجزئية الناقصة التي تحتاج إلى إجابة أو حل، والحقيقة العامة أو المسلمة التي نستعين بها لاستكمال معلومات الحقيقة الناقصة أو المسألة الغامضة(4).

فالاستنباط هو نوع من الاستنتاج الذي يحصل لحالات خاصة من خلال معرفة قانون عام، ولا يكون صحيح إلا إذا كانت القاعدة العامة أو المقدمة المنطقية صحيحة(5).

مثال ذلك: الدراسات اللغوية في العربية بدأت وصفية، ثم انتهت إلى المعيارية، ففي بداياتها اعتمدت على استقراء المادة اللغوية من مصادرها الأصلية (السماع – المشافهة) ثم استنبطت منها القواعد.

الهوامش:

1-أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979، مادة (قرى)، ج5، ص78.

2-الدليمي طه علي حسين، طرائق تدريس اللغة العربية، دار الكتب للطابعة والنشر، بغداد،1999، ص68.

3-ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ن ب ط)، ص 410.

4-ينظر: سعيد اسماعيل، قواعد أساسية في البحث العلمي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994، ص71.

5-ينظر: فوزي غرايبة وآخرون، أساليب البحث العلمي في العلوم الاجتماعية والإنسانية، الجامعة الأردنية، الأردن، 1977، ص28.

المحاضرة الخامسة:الاستدلال والاستشهاد

أولا-الاستدلال:

الاستدلال لغة: هو طلب الدليل، كما أنّ الاستفهام هو طلب الفهم، والاستعلام هو طلب العلم. والاستدلال: من دلّ على الشيء، إذا أرشد إليه. والدلالة على الشيء بمعنى الإرشاد إليه، جاء في معجم لغة الفقهاء: " الاستدلال: من دلّ على الشيء، إذا أرشد إليه"(1)

الاستدلال اصطلاحا:طلب الدليل للوصول إلى حقيقة ما، أو طلب الدليل لبناء قاعدة أو نظرية أو قانون. فهو" تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثّر أو بالعكس" (2)

ويقوم الاستدلال عادة على تقديم الحجج الضرورية وتوظيفها بهدف الإقناع، سواء عن طريق النفي أم عن طريق الإثبات. ومن أمثلته في الدرس النحوي السماع والقياس، فمن خلالها بنى النحاة فكرتي الاطراد والشذوذ.

ثانيا- الاستشهاد:

الاستشهاد لغة: هو طلب الشهادة أو طلب الشاهد، وهما من أصل واحد هو (شهد)، يقول ابن منظور: " الشاهد: العالم الذي يبين ما علمه..."(3)

الاستشهاد اصطلاحا:هو المادة الأساس التي يحتجّ بها المحتجّ الذي يعتمد هذه المادة لتأكيد القاعدة أو دحضها.(4)

ففي البحث العلمي هو طلب الشاهد الذي يبيّن صحّة النتيجة التي وصل إليها الباحث، أو هو طلب الشاهد على صحة القاعدة التي تمّ بناؤها.

الفرق بين الاستدلال والاستشهاد:

الاستدلال هو طلب الدليل، والاستشهاد هو طلب الشاهد، والشاهد هنا هو دليل أيضا، غير أنّ الدليل الأول يكون من أجل بناء النتيجة العلمية التي يتوصل إليها من خلال البحث والتي تتمثل غالبا في القاعدة أو النظرية أو القانون، بينما الدليل الثاني وهو الشاهد فإنّه يكون من أجل البرهنة على صحة النتيجة المتوصل إليها عن طريق الاستقراء أو الاستنباط، وبذلك يكون الاستشهاد تابعا للاستدلال، أي أنّ الدليل الأول هو الذي ننطلق منه لبناء النتيجة، بينما يكون الثاني بعد بناءها.

فبالاستدلال نتوصل إلى نتيجة أو قاعدة، وبالاستشهاد نأتي بعد الوصول إلى نتيجة أو نظرية لإثباتها.

الهوامش

1-محمد رواس قلعة، معجم لغة الفقهاء (عربي انكليزي)، ص87

2-المنّاوي(محمد عبد الرؤوف)، التوقيف على مهمات التعاريف، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 1410ه، ص56.

3-ابن منظور، لسان العرب، مادة (ش ه د)، ج3، ص283.

4-ينظر: صالح بلعيد، في أصول النحو، دار هومة للطباعة والشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص92

المحاضرة السادسة: مناهج البحث اللغوي في التراث

تمهيد:

ساهم علماء العرب في التأسيس للدراسات اللغوية، وكان لهم علم مشهود، استفاد منه السابقون والآخرون. وإذا ما حاولنا إيجاد صلة بين ما وظّفوه من مناهج ، رأينا معالمها واضحة في الدراسات الحديثة خاصة فيما تعلّق بالمنهج الوصفي والمقارن.

هذا ولا يخفى على أحد قيمة البحث اللغويّ العربيّ الذي خلّفه علماؤنا في جميع المستويات (الصوتية، الصرفية، النحوية والدلالية)، وما يدلّ عليه من نشاط فكريّ واسع، وأثر رائع من آثار التميّز المعرفيّ و المنهجيّ، إضافة إلى تلك الدراسات اللسانية الحديثة بمناهجها المختلفة التي تركت بصماتها واضحة في علم اللغة.

منهج البحث اللغوي:

هو الطريقة التي يسير عليها الباحث ليصل إلى حقيقة في موضوع من موضوعات اللغة وقضاياها، منذ العزم على الدراسة وتحديد الموضوع حتى تقديمه. ويراد " بمناهج البحث الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض "(1)

المنهج المعياري: (Prescriptive Method)

يعتمد المنهج المعياري القاعدة أساسا وينأى عن الوصف، ويضع الضوابط التي تحكم الاستعمال اللغوي في مستوياته المختلفة بحيث يعد الخروج عليه ضربا من ضروب اللحن والغلط، ويكون الالتزام بها التزاما بالمستوى الصوابي الذي يسير عليه المتكلمون باللغة المعينة

وهو المنهج الذي وسمت به الدراسات اللغوية العربية عامة والنحوية منها خاصة، فقد عدّ النحو العربي في عمومه نحوا معياريا باعتبار مقاييسه وقواعده فاصلا في الصحة والخطأ، نظرا لاهتمام العرب بتعليم الناشئة و غيرهم قواعد اللغة. وهذا ما أكّده تمام حسان من خلال قوله: " إنّ العناية التي نشأ النحو العربي من أجلها وهي ضبط اللغة وإيجاد الأداة التي تعصم اللاحنين من الخطأ فرضت على هذا النحو أن يتّسم في جملته بسمة النحو التعليمي لا النحو العلمي أو بعبارة أخرى أن يكون في عمومه نحوا معياريا لا نحوا وصفيا.." (2)

أسباب ظهوره:

لقد نشأ النحو – في مجمله – معياريا، غايته دفع اللحن الذي بدأ يشيع على ألسنة الموالي وبعض العرب، وكان من الممكن ألا يعبأ أحد بهذا اللحن لولا اعتزاز المسلمين بلغتهم.

ولا يزال هذا المنهج سلطانا لا يتزحزح كونه لا يمكن الاستغناء عنه في الدرس اللغوي، لأنّ مثل هذا التعليم لا يمكن أن يقوم إلا على أساس معياري أي وجوب التمييز بين الخطأ والصواب.

والمستوى الصوابي " معيار لغوي يرضى عن الصواب، ويرفض الخطأ في الاستعمال، وهو الصوغ القياسي لا يمكن النظر إليه باعتباره فكرة يستعين الباحث بواسطتها في تحديد الصواب والخطأ اللغوي، وإنما هو مقياس اجتماعي يفرضه المجتمع اللغوي على الأفراد، ويرجع الأفراد إليه عند الاحتكام في الاستعمال" (3).

والنحو لا يصبح معيارا إلا بعد قيام البحث الوصفي بواجبه المقصود في ملاحظة النماذج المستقاة واستقرائها ثم وضع القواعد، وعندما تتم مرحلة التقعيد، وتصبح معايير ملتزمة.. تطبق على المتكلمين كما تطبق القوانين والأحكام غلى أفراد المجتمع.

الهوامش:

1-علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دار نهضة، مصر، ط7، 1972، ص33

2-تمام حسان، العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1979، ص53.

3-تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص72.

المحاضرة السابعة: المنهج التاريخي (Historical Method)

المنهج التاريخي عبارة عن بحث التطور اللغوي في لغة ما عبر القرون. (1)

أسباب ظهوره:

كان اكتشاف اللغة السنسكريتية (لغة الهند المقدسة) في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي على يد (ألسير وليم جونز Sir william jones)(2)واكتشاف علاقتها الوثيقة باللغتين الأوربيتين اليونانية واللاتينية نقطة الانطلاق الحقيقي للمنهج التاريخي، الذي يرى أنّ الفهم الحقيقي للظواهر اللغوية يقوم على النظر في تاريخها وتطوّرها.

ميدان المنهج التاريخي:

ميدان المنهج التاريخي هو البحث في تطوّر اللغة الواحدة المعيّنة للدراسة عبر القرون والأزمنة من حيث مفرداتها وقواعد التنظيم فيها، واتجاهات أساليبها في مراحلها التاريخية المختلفة لمعرفة سرّ هذا التطور وقوانينه المختلفة. بمعنى: تتبّع اللغة منذ عصرها الطفولي كيف كانت المفردات فيه، ومعانيها،وكيف كانت القواعد التي تنظّم الكلمات من أحوال إعرابية، وصرفية، واشتقاقية، وأحوال التركيب وصلاتها بالمعاني وما تقتضيه من أحكام لغوية وأدبية وبلاغية.

ويسعى هذا المنهج إلى تتبع الظاهرة اللغوية في اللغة الواحدة، لبيان ما يطرأ عليها من تغيرات صوتية وصرفية ودلالية، عبر رحلة استعمالها زمانا ومكانا. وفي ذلك يقول اللساني (ماريو باي): " أمّا علم اللغة التاريخي فيتتبّع تطوّر اللغة وتغيّرها على مرّ الزّمن".(3) ولذا فإنّ كلّ ما يرد من نصوص ونقوش مكتوبة كانت أم مروية، هي وثائق يخضعها الباحث التاريخي للدراسة والتحليل، أملا في تشكيل تصوّر عام حول ملامح التطور للغة عبر مراحلها الزمانية.

شروط استخدام المنهج التاريخي:

يتوقف شرط استخدام المنهج التاريخي على عدم تجاوز المراحل الزمنية المحدّدة ولا المكان والمستوى المحدّدين، لكي لا تضطرب النتائج.

حاجة العربية إلى المنهج التاريخي:

إنّ الحفاظ على اللغة في صورتها المثلى التي استنبطت من كلام العرب الفصحاء، هو هدف جليل، ينبغي أن تتّجه إليه الهمم، وتبذل في سبيله الجهود، ولكن هذا الهدف لا يتعارض مع هدف أخر يتطلّبه المنهج التاريخي، إذ يقتضي هذا المنهج أن تراقب اللغة في جميع عصورها لرصد ما جاء فيها من صيغ ومفردات، وما أخذ يظهر فيها من تراكيب.

ويمكن الإفادة من المنهج التاريخي في مجال الدراسات المعجمية، منها:

- تمييز العربي الأصيل من المعرّب والدخيل الذي وفد على العربية من لغات أخرى.
- تتبّع حياة اللفظ العربي عبر العصور، وتحديد ما طرأ عليها من تغيّر في الشكل والمضمون في كل عصر من عمر اللغة.
- التعرّف على ما غاب من ألفاظ عن أفق الاستعمال.

الهوامش:

1-محمد السيد بلاسي، المدخل إلى البحث اللغوي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، 1999، ص48.

2-يراجع: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ص19

3-ينظر: أسس علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ماريو باي، تر، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1988،ص36.

المحاضرة الثامنة: المنهج المقارن: (Comparative Method)

المنهج المقارن هو امتداد للمنهج التاريخي، وإن كانا قد ظهرا في وقت متقارب جدا، يركّز على بحث الظاهرة، ويدرس التقابلات المطردة أو المنتظمة بين لغتين أو أكثر داخل العائلة اللغوية الواحدة.

أسباب ظهوره:

لعلّ أسباب ظهور المنهج المقارن تعود إلى نشاط البحث اللغوي الذي عرفته أوربا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر وما بعدهما، فمن جملة ما تمّ تحقيقه – في ظلّ الأبحاث اللغوية من خلال الفترة المذكورة -

أهم مؤسسي علم اللغة المقارن:

ميدان المنهج المقارن:

هذا المنهج يقوم بالمقارنة بين لغتين أو أكثر، ويركّز بشكل خاص على بحث الظاهرة في اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد أو أسرة لغوية واحدة، كاللغات السامية أو الحامية أو الهندوأوربية، كأن يدرس بنية الجملة الاسمية أو الفعلية في اللغات السامية.

هدفه:

- هدف المنهج المقارن البحث عن صلات القرابة التي تربط اللغات، كمقارنة اللغة السنسكريتية باللغات الأوربية اللاتينية والإغريقية والجرمانية، حيث لاحظ علماء الغرب أوجه التشابه والاختلاف وقاموا بتحديد صلات القرابة بين هذه اللغات.

-تأصيل المواد اللغوية في المعاجم، حيث يرصد نقاط الالتقاء والتقاطع بين اللغات التي تنتمي إلى أسرة واحدة في سبيل تصنيف اللغات إلى أسر لغوية، وملاحظة عملية التأثير والتّأثر في الأسرة الواحدة
--ميدان الدراسة اللغوية بهذا المنهج هو اللغات ذات الأصل الواحد والتي تنتمي إلى مجموعة واحدة، كالعربية و العبرية، أو الفرنسية والانجليزية وغيرها، محاولا التوصل إلى قواعد مطّردة تفسّر التغيرات الصوتية التي طرأت على مدى الزمن، وتوضيح ما بينها من خلافات أو تقارب في البنية أو التركيب أو الدلالة بأنواع مجالها. وغايته من هذه الدراسة التنقيب عن الكلمات المشتركة في المعنى أو المختلفة وما طرأ عليها من تغيير دلالي. -كما يقوم بالمقارنة بين تغيرات اللغات أو بين الأصل وما تفرّع منه أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى.

- ومن ثمرات توظيف هذا المنهج في البحث اللغوي هو تلك التصنيفات التي قسمت اللغات إلى فصائل' حيث اكتمل البحث فيها على يد المستشرق اللغوي الألماني ماكس مولر (Max Muller) (ت1900م) بنظريته التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل، هي:

1. الفصيلة الهندية الأوربية: وتشتمل على ثمان طوائف من اللغات، هي: اللغات الهندية الإيرانية أو اللغات الآرية، اللغات الأرمينية، اللغات الإغريقية، الألبانية الإيطالية، السلتية أو الكلتية، الجرمانية، البلطيقية السلافية، وكل طائفة تضم مجموعة من اللغات.
2. الفصيلة السامية الحامية.
3. الفصيلة الطورانية.

هل عرف العرب المنهج المقارن في دراساتهم اللغوية؟

هناك من يذهب إلى أنّ اللغويين القدامى لم يدرسوا لغتهم العربية دراسة مقارنة، اعتقادا منهم أنّها أشرف اللغات وأفضلها، لكونها لغة التنزيل، غير أنّنا لانعدم وجود بعض بصمات المنهج المقارن حاضرة في دراساتهم. من ذلك:

ما ورد في كتاب (العين) للخليل بن أحمد (ت175ه) قوله: " وكنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون،

المحاضرة التاسعة: المنهج التقابلي(Contrastive Method)

من أحدث المناهج اللغوية، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية، يقابل بين نظامين لغويين ولا يعنى ببحث اللغات المندرجة في إطار أسرة لغوية واجدة.

أسباب ظهوره:

المنهج التقابلي منهج حديث، نشأ بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة الإقبال على تعلّم اللغات الأجنبية، وما وقر في نفوس الكثير من متعلّمي هذه اللغات ومعلّميها من أنّ الصعوبات التي تواجههم يسببها في المقام الأوّل الاختلافات بين اللغة الأم واللغة الأجنبية المنشود تعليمها,

ومن ذلك ما قاله عبده الراجحي: " ظهر علم اللغة التقابلي ليقارن بين لغتين أو أكثر من عائلة لغوية واحدة أو عائلات لغوية مختلفة، والهدف تيسير المشكلات العلمية التي تنشأ عند التقاء هذه اللغات كالترجمة وتعليم اللغات الأجنبية "(1)

ميدانه:

يهتم بدراسة ظواهر لغتين أو لهجتين بهدف الوصول إلى الفروق وأوجه التقابل بينهما

ونقدم مثالين على المستوى الصوتي والتركيبي في المنهج التقابلي:

-على المستوى الصوتي: صوت (ر) في اللغة العربية بالتكرار وصوت (R) في اللغة الانجليزية لا تكاد تنطق في الكلمة.

- على المستوى التركيبي: تقديم الصفة في اللغة الانجليزية في مثل: (جميل جدا Very nice)

الفرق بين المنهج المقارن والتقابلي:

المنهج المقارن	المنهج التقابلي
هدفه تاريخي	هدفه تعليمي
يوازن بين اللغات بقصد التأصيل والوقوف	يوازن بين اللغات بقصد التعليم ومعرفة
على جوانب التطور.	المشكلات التي يعاني منها الدارس.
يدرس اللغات التي من أصل واحد	لا يهمه انتماء اللغة.

الهوامش

1-ينظر: عبده الراجحي،علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية،دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر،1995،ص45

المحاضرة العاشرة: المنهج الوصفي: (Descriptive method)

يهتم هذا المنهج بدراسة اللغة أو اللهجة عن طريق الوصف الدقيق لأصواتها ومقاطعها، وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية التي تعبّر عن مجموعة من المعاني المختلفة " بالدراسة الوصفية للغة واحدة أو لهجة واحدة خلال زمن محدّد ومكان معيّن "(1) .وهذا من خلال وصف لغة محدّدة في زمن محدّد ومكان محدّد ودون اعتبار للخطأ والصواب فيها، فالمنهج الوصفي يصف الحقائق ويناقشها دون فلسفة أو محاكمة لها أو الفهم المنطقي في تفسير وتأويل الظواهر اللغوية وتأويلها. فلا يتدخّل في وصف الظاهرة المدروسة بالتعليل والتفسير، لأنّ ذلك يدخل في اختصاص منهج آخر، وهو المنهج التحليلي. ولا يتدخّل في وصف الظاهرة المدروسة بالتخطئة والتصويب، لانّ ذلك يدخل في اختصاص منهج آخر، هو المنهج المعياري أو النقدي. كما أنّه لا يعنى بتطور الظاهرة ومراحلها المتعددة ممّا يدخل في حيّز منهج آخر هو التاريخي. ولا تتم فيه مقارنة أو مقابلة الظاهرة بغيرها ممّا يعنى بها المنهجان المقارن والتقابلي.

أسباب ظهوره:

فقد دأب العلماء في القرن التاسع عشر الميلاد على البحث في اللغة بتوظيف المنهجين التاريخي والمقارن، غير أنّهم أدركوا في الأخير إلى أنّه بالإمكان دراسة اللغة على نحو علمي أكثر دقة ممّا سبق، وهو بإخضاعها للدراسة الآنية، أي بدراسة الظاهرة ووصفها وتفسيرها، والحديث عن جوانبها وكشف حقائقها وخصائصها، للوصول إلى أسبابها والعوامل التي تتحكم فيها، واستخلاص النتائج ومن ثم تعميمها.

علاقة دي سوسير بالمنهج الوصفي:

الإرهاصات الأولى لظهور اللسانيات الوصفية كان بداية القرن العشرين، بعدما عرفت أفكار دي سوسير انتشارا واسعا في أوربا. فهو الذي درس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها.

وعلم اللغة يدرس اللغة في ذاتها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهره فليس البحث فيها أن يغيّر من طبيعتها، كما أنّه ليس للباحث أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة لغرض من نفسه أو لأي سبب آخر من الأسباب.

ويدرس علم اللغة اللغة من أجل ذاتها، أي لغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها.

وحدّد اللسانيات بأنّها " العلم الذي يدرس اللغة الإنسانية دراسة علمية تقوم على الوصف ومعاينة الوقائع بعيدا عن النزعة التعليمية والأحكام المعيارية، و كلمة (علم) الواردة في هذا التعريف لها ضرورة قصوى لتمييز هذه الدراسة من غيرها، لأنّ أوّل ما يطلب في الدراسة العلمية هو اتّباع طريقة منهجية، وانطلاقا من أسس موضوعية يمكن التحقق منها وإثباتها "(2)

يعتبر " فاردينان دي سوسير (F De Saussure) زعيم المدرسة اللغوية الوصفية حيث خلّف قبل وفاته (1916م) " محاضرات في اللسانيات العامة " (Cous de linguisti/ues generales) نشرت في كتاب على يد بعض طلابه، عرّف بأفكاره اللسانية. ويرى بعض العلماء أنّ المنهج الوصفي نشأ مع ما قدّمه دي سوسير من آراء بنى عليها ما يعرف بالمنهج الوصفي، أو ما أطلق عليه (علم اللغة الوصفي). وحجتهم في ذلك أنّ دي سوسير بعد اكتشافه اللغة السنسكريتية في أواخر القرن الثامن عشر للميلاد – والتي اعتمد في دراستها على المنهج التاريخي و المقارن – جعل جهوده موجّهة إلى دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، واعتبارها نظاما من العلامات، وجعلها طريقا لمعرفة ظواهرها وخفاياها.

ميدان المنهج الوصفي:

يتناول هذا المنهج دراسة لغة واحدة، أو لهجة واحدة في زمن بعينه، ومكان بعينه، وعلى الباحث أن يحدّد المستوى اللغوي المقصود بالدراسة لظاهرة لغوية محدّدة، إذ كلّما كان المستوى أدق تحديدا وأوضح أبعادا كانت النتائج أقرب للبحث. ومن مظاهر تحديد المستوى بالدراسة:

تحديد المستوى اللغوي: يتطلب المنهج الوصفي ضمن تحديداته تحديدا للمستوى اللغوي للظاهرة المدروسة.

- المستوى الصوتي
- المستوى الصرفي
- المستوى التركيبي
- المستوى الدلالي

تحديد زمن الدراسة: وهذا من شأنه أن يقيد بداية المادة المدروسة ونهايتها، قبل أن يطرأ عليها تغير. فوصف المنهج الوصفي بالسكون يقتضي زمنا معيّنا – طال أم قصر – تدرس من خلاله الظاهرة من حيث ملامحها الصوتية ونحوها ومفرداتها ، لأنّه بتعدّد الأزمنة ينتقل التناول إلى المنهج التاريخي الذي لا يقف عند مرحلة زمنية معينة.

تحديد البيئة المكانية: تكمن أهميتها في حصر المادة المدروسة، لأنّها تعمل مع تحديد زمن الدراسة على تأطير الدراسة بسياج من الدقة، فلا تختلط بما يشوبها من الأماكن المجاورة كما هو الحال بالنسبة للهجات.

وقد وصف المنهج الوصفي بالثبات كونه يقتصر على دراسة ظاهرة محدّدة في زمان ومكان معيّنين.

وصف الظاهرة اللغوية وصفا دقيقا من خلال مصادر محددة تفرضها طبيعة الموضوع. وبطريقة واقعية في التعامل مع مشكلة البحث دون تأويلات مختلفة.

فنحن في حاجة ماسة إلى قراءة صفحات كتبنا القديمة، وتمحيصها والتحقق فيها، وأن نستوعب ما فيها من معارف شتى في سائر فروع اللغة. فقد أتى علينا حين من الدهر أهملنا فيه التراث، وتمسّكنا بكل ما هو حديث، مع أنّنا لو قرأنا ما كتبه الأولون السابقون في اللغة والنحو لرأينا العجب العجاب، ولاكتشفنا أنّ بعض ما كتب حديثا كان له جذور في السابق، وأنّ الخليل وسيبويه والكسائي والفراء وثعلبا والمبرد وأبا علي الفارسي وابن جني وغيرهم كان لهم فضل السبق في توضيح مسائل كثيرة كانت غامضة على المحدثين الذين حاولوا توضيحها دون أن يدروا أنّ الأقدمين قد سبقوهم إليهم.

وليس معنى تمسكنا بالقديم أن نهمل كل ما قاله المحدثون ونرفضه، بل يجب علينا أن ندرسه ونأخذ به إذا راقنا، مع الرجوع – في كل حال – إلى الأصل.

فيما تتمثل المناهج المعتمدة في جمع اللغة؟

وبمعنى آخر ماهي مناهج القدماء في جمع اللغة أو في دراساتهم اللغوية؟

هل توجد بذور أولية لهذا المنهج في الدراسات اللغوية القديمة؟

البذور الأولى للمنهج الوصفي فيالدراسات اللغوية العربية (تجليات المنهج الوصفي في الدرس اللغوي"النحوي العربي" القديم):

اعتمدت الدراسات اللغوية العربية منذ نشأتها على الوصف، فقد وظّفه علماء اللغة القدامى بطريقة تلفت النظر، ويمكن التمثيل بما يلي:

- جمع المادة العلمية: تمثل مرحلة جمع العربية النقية من أفواه العرب الخلّص تطبيقا عمليا لهذا الأساس، ومن الأخبار الكثيرة المروية في ذلك أنّ الكسائي خرج إلى البوادي فأنفذ خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه.

- تحديد زمن الدراسة: حدّد علماء اللغة القدامى عصور الاحتجاج حيث ينتهي الأخذ من فصحاء العرب منتصف القرن الثاني الهجري في الحواضر، ونهاية القرن الرابع الهجري في البوادي، ليكون هذا الإطار الزماني حافظا لصحة نقلهم عن العرب الفصحاء.

- تحديد البيئة المكانية: فكما حدّدوا المدى الزمني للأخذ عن العرب الفصحاء، حدّدوا القبائل التي يحتج بلغتها، فأخذوا من قبائل محدّدة، كقيس وتميم وأسد، ولم يؤخذ لا من قبيلة لخم ولا من قبيلة جذام، لأنّهم كانوا مجاورين لأهل مصر و القبط، ولا من غسان ولا من إياد، لأنّهم كانوا مجاورين لأهل الشام.

- وحدة المستوى اللغوي: فقد أدرك علماء اللغة العربية أهمية هذا التحديد، ولذلك قصروا عملية الجمع اللغوي على مستوى لغوي معين، هو اللغة الفصحى. والتي كان من أهم مصادرها القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام العرب.

فهذا التحديد للدراسة اللغوية يؤكّد أنّها قامت على رؤية منهجية واضحة، وأنّها قامت في أذهان الدارسين العرب القدامى تصورات معرفية وعلمية ومنهجية سبقت بكثير ما توصّل إليه البحث اللغوي الحديث.

الاتجاه الوصفي عند النحاة:

العمل الثابت عن أبي الأسود في ضبط النص القرآني كان عملا وصفيا. فإنّ عمله في الضبط قد مهّد للتناول النحوي، وهو عمل وصفي محض، لأنّه قام على الملاحظة المباشرة لقراءة النص. فقد قال لكاتبه: إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه إلى أعلاه...وهذه صورة تمثّل قارئا يقرأ، وكاتبا يلحظ حركة شفتيه، حتى تكون الرموز وصفا لهذه الحركة.

ولاشك أنّ هذه التعبيرات التي أطلقها أبو الأسود على حركة شفتيه، من فتح وضم وكسر كانت أساس المصطلحات الاعرابية في النحو العربي. وقد كان هذا الأصل الوصفي ذا تأثير عند أوائل النحاة.

1-وصف الكلمة المفردة:

لعلّ أبرز ملامح الاتجاه الوصفي عند النحاة: العلاقة الاشتقاقية في الألفاظ، وذلك مثل (كتب، يكتب، اكتب، كاتب، مكتوب، كتاب) فنسبوا هذه الكلمات إلى حروف مشتركة هي (ك. ت.ب)، ومن ثم كان من الطبيعي تصنيف الكلمات إلى مشتقة وغير مشتقة.

2-وضع المصطلحات: بأسماء اصطلاحية وصفية ذات دلالة قوية على معانيها، وذلك نحو، الفاعل، والمفاعيل بأنواعها، والاستثناء والتمييز، والاسم والفعل والمبني والمعرب...

3-النبر و التنغيم: من مظاهر الوصفية استحضار النحاة لعناصر الموقف الكلامي، من سامع ومتكلم وظروف عامة، فقد اعتنى النحاة بطريقة نطق المتكلم، بما قد يكون فيها من تلوينات صوتية، سواء في ذلك ما كان مركزا على الكلمة، وهو ما عرف بالنّبر،

وعدّ من وظائف الميزان الصرفي، أو ما كان مركّزا على الجمل، وهو مرتبط بالمعنى العام المراد إيصاله إلى السامع بهدف إبراز معلومة جديدة أو تأكيدها في الجملة، وهذا ما عرف بالتنغيم.

أدرك القدماء دقائق التلوينات الصوتية التي تظهر في نطق الجملة، وهي تنقل المعنى أو الدلالة من مستوى دلالي إلى مستوى آخر، وقد عدّها النحاة أحيانا مسوغا لحذف الجملة، وهذا ما عبّر عنه ابن جني بجلاء، فقد تحذف الصفة أحيانا، ويدل عليها الحال، وذلك فيما حكاه سيبويه من قولهم: سير عليه ليل، وهم يريدون: ليل طويل، قال ابن جني " وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك أنّك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك، وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته' وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه: فتقول: كان والله رجلا إ فتزيد في قوة اللفظ ب (الله)، وتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها(وعليها) أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك، وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا وتمكن الصوت ب(إنسان) وتفخيمه، فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إن ذممته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنسانا وتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أونحو ذلك.(3)

إنّ ملاحظة الأمثلة التي ذكرها ابن جني يكشف أنّه لا يعني بكل هذه الصفات إلا ما يعنيه المحدثون بالتنغيم الذي يؤدي وظيفة نحوية و دلالية في الجملة.

يقوم المنهج الوصفي على أساس وصف اللغة في مستوياتها المختلفة، أي في أصواتها وأبنيتها الصرفية، وتراكيبها النحوية، ودلالتها المعجمية. ولما كان النحاة يهدفون من دراستهم النحوية إلى "انتحاء سمت كلام العرب" كان لابد من إجراء وصف لهذه اللغة، وذلك من خلال استقراء كلام العرب المطّرد الفصيح المنقول نقلا صحيحا.

- الاستعمال: إنّ الاستعمال من أهم الرّكائز للمنهج الوصفي، والمتفحص في النحو العربي يلحظ أنّ أولياته ترتبط وتتصل بالواقع اللغوي اتصالا مباشرا.
- الاستقراء: أمّا بالنسبة للاستقراء فنلاحظ أنّ سيبويه يستقرئ بالقرآن الكريم، وكلام العرب ثمّ يستنبط من هذا الاستقراء نماذج لغوية.
- التصنيف: أمّا فيما يخص التصنيف فنلاحظ أنّ سيبويه يقسّم الكلام إلى اسم وفعل وحرف، وقسّم الكلام أيضا من حيث الجنس إلى مذكر ومؤنث، ومن حيث العدد إلى: مفرد ومثنى وجمع.

إنّ تاريخ النحو العربي يدلّ على اتّخاذه منهج الوصف في تحليل الظواهر اللغوية بدءا بالاستقراء الذي برز بشكل جليّ في كتاب سيبويه.

لقد كان منهج البحث في مدرسة الكوفة في بداية نشأتها أقرب إلى المنهج الوصفي وذلك باعتمادهم على المسموع.

لقد ساهم علماء العرب في التأسيس للدراسات اللغوية، وكان لهم باع طويل فيها.

الاتجاه الوصفي عند اللغويين:

يعد هذا المنهج من أكثر المناهج شيوعا وانتشارا في عالم البحوث الإنسانية عامة، والبحوث اللغوية على وجه الخصوص، حيث لا يمكن الاستغناء عنه، فالدارس لأية ظاهرة ضرورية يجب أن تتوفر لديه أوصاف دقيقة للظاهرة التي يدرسها بالوسائل المعينة

والمناهج المحددة لها. والبحث وفقه يعدّ استقصاء أو استقراء ينصبّ على الظاهرة المدروسة، كما هي قائمة بقصد وصفها وتشخيصها، وكشف علاقاتها بين العناصر والجوانب الرابطة بينها.

اعتمد علماء العربية القدامى في دراساتهم اللغوية على المنهج الوصفي الآني، ذلك لأنّ أية دراسة علمية دقيقة لابدّ أن تعتمد على جمع الظواهر الخاصة بالعلم المعين، ثمّ دراستها بعد ملاحظتها والخروج بنتائج أو قواعد تخص هذه الظواهر.

وهكذا بدأ العرب منذ الأجيال الأولى جمع المادة اللغوية من أصولها وأماكنها الصحيحة التي اعتقدوا أنّها مناطق للغة العربية الفصيحة البعيدة عن اللحن، وعن مناطق التأثر باللغات الأجنبية المحيطة بشبه الجزيرة العربية.

ولقد كان جل اهتمامهم أن يجمعوا النماذج من نصوص اللغة المتحصل عليها، فينظروا فيها ويدرسوها، ويستقرئوا تراكيبها، ويلاحظوا علائقها بعضها مع بعض ويدققوا فيها، ليضعوا بعد ذلك ما يتفق في البناء والتراكيب، مصطلحين على كل نوع من أنواع التصنيف اسما معينا، وذلك بحسب علاقاته بسائر الوحدات الأخرى في داخل التراكيب، فالفعل سمي بذلك الاسم لكونه دالا على حدث مقترنا بزمن، والفاعل سمي فاعلا لقيامه بالفعل أو الحدث، والمفعول سمي كذلك لوقوع عليه فعل الفاعل.

وبعدما رجع هؤلاء العلماء إلى حواضرهم درسوا هذه المادة اللغوية المتحصل عليها وصنفوها إلى فروع، منها ماهو مختص بمتن اللغة (علم المعاجم)، ومنها ماهو مختص بقواعد اللغة (الصرف و النحو)، ومنها ما يختص بالأساليب (النقد والبلاغة).

فما من أحد يشك- أو يشكك – في أنّ الدراسات اللغوية العربية لعلمائنا القدامى الأولين كانت قد اتخذت المنهج الوصفي سبيلا لتصنيف نتائجها على النحو الذي وصلنا من نحاتنا الأوائل: كالخليل (ت 175هـ) وسيبويه (ت180هـ) والكسائي (ت189هـ)، ومن جاء بعدهم من العلماء الأفذاذ الذين ساروا على النهج القويم كأبي الفتح بن جني (ت 392هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ويوسف بن أبي بكر السكاكي (ت626هـ) والرضى الاستراباذي (ت686هـ) وغيرهم.

الهوامش

1-وليد محمد مراد، المسار الجديد في علم اللغة العام،ط1، مطبعة الكواكب، دمشق،1986،ص86.

2-أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1،دار الفكر، دمشق،ص11.

3-ابن جني، الخصائص،ج2،ص370.